كيف يمكن تعديل اتجاهات الشباب المسلم وفقاً للمنهج الاسلامي والمنهج العلمي

د/ عبدالرحمن محمد العيسوي

أهمية الإتجاهات العقلية :

من القضايا التي تشغل بال المجتمعات، منذ أقدم العصور، قضية تشكيل عقول الشباب وصقلها وتنقية محتوياتها كالعقائد والآراء والأفكار والميول والإتجاهات العقلية Mental attitudes والمعارف والحقائق والمعلومات، بغية أن تتمشى هذه الإتجاهات مع فلسفة المجتمع وثقافته أو حضارته أو مايعبر عنه بلغة العصر «أيدولوجيته» أي أفكاره وآرائه ومعتقداته ووجهة نظره لقضاياه ولأمور الحياة الأخرى(١).

ولابد أن تتفق إتجاهات الأفراد مع إتجاهات المجتمع، حتى لاينسلخوا أو ينفصلوا، وجدانياً، عن المجتمع الأم. ويصبح وجودهم إلى جوار بعض مجرد تجمع لأجسادهم فقط. ومؤدى ذلك أن الإتجاهات العقلية من أدوات اللحم المعنوي والالتصاق والتوحد بين أفراد المجتمع. وإذا حدث وشذ أحدهم واعتنق إتجاهاً معارضاً لما أجمع عليه المجتمع، فإنه يعاني من الطرد والنبذوعدم القبول الاجتماعي، ومن ثم لا يتمتع بالتكيف النفسي ويخفق في إقامة علاقات اجتماعية إيجابية مع غيره من أبناء المجتمع(٢).

ونظراً لأهمية الإتجاهات العقلية، فإن المجتمعات المختلفة تحرص على دراستها والتعرف على طبيعتها وعلى كيفية تكوينها، وعلى العوامل التي تؤثر في نموها وتعديلها. ولقد وضعت لذلك وسائل كثيرة لقياس هذه الإتجاهات وتحديدها، ومعرفة ماإذا كان الفرد أو الأفراد يمتلكون إتجاهاً مؤيداً أو معارضاً أو محايداً بالنسبة لكل قضية من القضايا التي تهم المجتمع في كل عصر من العصور.

ولقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في الاهتمام بقضايا الناس وأفكارهم وآرائهم، وما يمكن أن يسمى اليوم باتجاهاتهم العقلية نحو دينهم الإسلامي الأغر، ودعوته المباركة، ونحو رسولنا الكريم ورسالته الإنسانية، ونحو الحاكم ونحو المرأة، ونحو العلم والعلماء، ونحو الأولاد، والجيران، ونحو كبار السن في المجتمع، ونحو موضوعات أخرى في الحياة اليومية كالنظافة والطهارة، والعفة، ونحو المسجد، ونحو الأم والأب، والجار، ونحو الحرب والسلم، والتجارة، ونحو العمل، ونحو العبادة، ونحو الزواج، وشتى أمور الحياة الدنيا والآخرة(٣).

وفي المجتمعات الغربية يدرسون إتجاهات الشباب حيال أمور مثل :—

تنظيم النسل، المخدرات، أعضاء حزب من الأحزاب السياسية، التعليم العالي، السامية، التعليم المختلط، السوق الأوروبية المشتركة، سباق الفضاء، التسليح النووي، وما إلى ذلك من الموضوعات ونحو علم كعلم النفس.

ويفترض علماء النفس أن لاتجاه الفرد تأثيراً كبيراً على سلوكه الفعلي الواقعي. فاتجاهات الفرد العقلية تؤثر في طريقة استجابته أو رد فعله للعالم وأحداثه، حيث تؤثر الاتجاهات في أذواقنا، وفي اختيار أصدقائنا وفي انتخاباتنا وفيما نضع من أهداف نسعى لتحقيقها، وفي كل مانفضل أو نكره(٤).

طبيعة الاتجاهات :

وقبل أن نسوق الأدلة التجريبية على صحة هذا الفرض، وأعني به أن سلوكنا يتأثر بما نحمل من اتجاهات عقلية، لنتأمل، مع القاريء الكريم، المعنى الحقيقي للاتجاه العقلي. ذلك لأنه لابد لنا من معرفة طبيعة الاتجاه، وكيف يتكون، وكيف يقاس أويقدر؟ .الاتجاه عبارة عن

استعداد لكي يستجيب الفرد نحو الناس أو الأشياء أو المؤسسات أو الموضوعات أو العقائد والأفكار أو النظريات أو الشعارات والنداءات أو الفلسفات أو الأحزاب أو المجتمعات يستجيب نحو أي من هذه الموضوعات بطريقة خاصة: إما أن تكون إستجابة إيجابية حيث يؤيد الفرد الفكرة أو يعضد ويساند الموضوع، أو تكون سلبية فيعارض الموضوع ويرفضه ويقف ضده، وإما أن تكون استجابة محايدة حيث لايكون الفرد مؤيداً ولا معارضاً وكأن الأمر لا يعنيه.

وهنا نتساءل وهل مثل هذه الاتجاهات فطرية، أي يولد الفرد مزوداً بها عند الميلاد، أم أنها مكتسبة ومتعلمة من البيئة الاجتماعية والمادية التي يعيش الفرد في كنفها؟ تؤكد الدراسات النفسية الحديثة أن الاتجاهات متعلمة ومكتسبة وليست فطرية أو موروثة. فالإنسان لا يولد مؤيداً ولا معارضاً للنادي الأهلي مثلاً أو لسياسة التعليم العالي من البلاد، ولكنه يكون هذا الاتجاه من خلال خبرته بهذا التعليم ومعلوماته عنه وتفاعله مع مؤسساته. وهكذا فالاتجاهات متعلمة ومكتسبة(٥). ويفتح هذا الباب واسعاً أمام رجال الوعظ والارشاد، وأمام القادة والمصلحين والمفكرين والكتاب ورجال التربية والاعلام لكي يحسنوا تكوين اتجاهات شبابهم وأجيالهم الصاعدة ويغرسوا فيها مبادىء إسلامنا الحنيف من الإيمان والتقوى والورع والخشوع والبر والإحسان والصدق والعدل والإخاء والمساواة . . . إلخ .

الاتجاه العقلي يوجه السلوك :

ومما يضاعف من أهمية الاتجاهات العقلية لدينا أنها تلخص كل خبرات الفرد الماضية وتجاربه مع الحياة والمواقف التي مر بها، والتي تمخضت عن تكوين إتجاهه على هذا النحو أو ذاك. وفي نفس الوقت تساعد على التنبؤ بسلوك الفرد في المستقبل وتوجه هذا السلوك، فالشخص الذي يحمل اتجاهاً معارضاً للصهيونية نجده في سلوكه يقف ضد تأييدها ويضحى من أجل القضاء عليها كحركة عنصرية استعمارية، ويتبرع أو يتطوع من أجل هذا الهدف. وبالمثل الشخص الذي يحمل اتجاهاً مؤيداً لفكرة التضامن العربي نجده يساعد كل مايؤدي إلى هذا التضامن، وقد يحضر المحاضرات حول هذا الموضوع أو يقرأ الكتب والمراجع فيه أو يتطوع للدفاع عن الوحدة العربية، ويسعى لتحقيقها ويناصرها في حواره ونقاشه مع الغير.

فالاتجاه وسيلة لتوجيه السلوك ودفعه، وهو وسيلة للتنبؤ بسلوك الأفراد وفي نفس الوقت هو عبارة عن تلخيص مخبرات الفرد الماضية.

ولكن ماالدليل على صحة هذا الفرض ؟

لقد قام أحد علماء النفس في العصر الحديث (١٩٧٧م) ويدعى هاويت Hawitt بإجراء دراسة ميدانية أطلق عليها «دراسة الخطاب الموجه توجيهاً خاطئاً» The misdirected letter أو الرسالة المعنونة خطأ» بقصد التحقق من مدى تمشي السلوك الفعلي أو رد الفعل الحقيقي لدى الفرد مع اتجاهه العقلي. ففي أثناء إنتشار موجة العنف المعروفة التي قام بها (ويقوم حتى الآن) الإيرلنديون Irish قام مجموعة من علماء النفس بدراسة الاتجاه نحو الايرلنديين لدى عينة من المجتمع الانجليزي وكان هذا العنف بالطبع موجهاً نحو الانجليز بغية طلب الاستقلال عن انجلترا. وتم معرفة أصحاب الاتجاه المؤيد والمعارض للايرلنديين. وبعد ذلك بفترة أرسل هؤلاء الباحثون خطابات (طريق الخطأ) إلى هؤلاء الناس وكتب الباحثون على مجموعة من الخطابات أسماء ايرلندية، وعلى المجموعة الأخرى أسماء لأشخاص انجليز. وسلم رجال البريد هذه الخطابات لأفراد عينة البحث. فماذا كانت النتيجة ؟ هل أعاد الناس الموالون للايرلنديين توجيه الخطابات إليهم ؟ وهل قذف الناس المعارضون الايرلنديين بالخطابات فس سلة المهملات ؟

لقد حدث ذلك بالفعل، وأيدت هذه التجربة أن السلوك الفعلي لهذه العينة يتمشى مع الاتجاه المؤيد أو المعارض للايرلنديين(٦). وفي مجتمعنا يمكن إجراء مثل هذه الدراسة بقياس اتجاه الناس نحو ناديهم الأدبي أو الرياضي مثلاً ثم قياس عدد المرات التي يذهبون فيها إلى هذا النادي كمؤشر للسلوك الفعلي. ويمكن قياس الاتجاه الفعلي نحو الصلاة وقيمتها الروحية والخلقية والإيمانية ومقدار أداء الفرد لفريضة الصلاة .

هذا هو مضمون الاتجاه وأثره على السلوك. ولكن كيف يمكن تحليل الاتجاهات ؟

تحليل الاتجاهات :

كيف يعبر اتجاهنا عن نفسه ؟ أو بعبارة أخرى مما يتكون الاتجاه ؟ أو ماهي العناصر الأولية التي يتكون منها الاتجاه؟ المعروف أن الاتجاه ليس حالة بسيطة، ولكنه حالة معقدة تتضمن

العديد من العناصر وهو أيضاً ليس السلوك أو ليس معادلاً للسلوك وإنما هو أحد محركات السلوك. فإذا تأملنا في اتجاهنا مثلاً نحو تعليم المرأة. أو اشتغالها، أو نحو الوحدة العربية أو نحو العقيدة الإسلامية، أو نحو خطة التنمية، أو نحو كرة القدم لوجدنا أن كلًّا منها يتضمن ـ على الأقل ـ العناصر الآتية:

أ ـ عنصر عقائدي أو معرفي يتمثل في المعلومات والمعارف والحقائق والأفكار والعقائد المتعلقة بالوحدة العربية مثلا.

ب ـ عنصر نفسي أو انفعالي في مقدار الحب والتعاطف والتجاوب والسعادة حيال موضوع الوحدة.

جـ ـ عنصر سلوكي أو عملي: ويتمثل في كل ما يقوم به الفرد في سبيل الوحدة ودفاعاً عنها ـ وإذا طبقنا هذا التحليل على اتجاهنا نحو منع انتشار الأسلحة النارية بين الناس في المجتمع وضرورة وضع ضوابط لذلك، لوجدنا أن لدينا آراء وأفكار ومعتقدات حول أثر ضبط التسلح في زيادة أو نقص معدلات الجريمة والعنف في المجتمع. ولابد أنك تستجيب إستجابة انفعالية معينة نحو الأسلحة، على أساس أنك إما أن تعتبرها جذابة، أو مدمرة وأداة تخريب، أو أداة تهديد، وعلى ذلك فسوف تسعى إما لاقتناد الأسلحة أو تتحاشى ذلك. وسوف يتضمن سلوكك تأييداً أو معارضة للمنظمات التي تعارض أو تؤيد انتشار الأسلحة بين الناس.

وإذا ماحللنا اتجاهنا نحن العرب نحو الوحدة العربية لوجدناه يتضمن عنصراً عقلياً معرفياً، يتمثل فيما لدينا من معلومات وحقائق حول مقومات الوحدة العربية: السياسية والفكرية والاقتصادية واللغوية والدينية والجغرافية والتاريخية والسلالية وما إلى ذلك. ولوجدنا كذلك عنصراً وجدانياً أو انفعالياً أو نفسياً هو الذي يجعلنا نشعر بالسعادة والرضا والأمل والتفاؤل كلما خطت أمتنا العربية خطوة نحو الوحدة والاتحاد والتماسك والتضامن والتآخي، وكلما تصافت الأجواء العربية. أما الجانب السلوكي فيتمثل في الآتيان بأنماط السلوك المؤيد لهذه الفكرة من الدعوة لها والدفاع عنها والاحسان إلى أخوتنا في العروبة في كل مكان، والسعي لفض مابينهم من منازعات، وتوعيتهم بما يحيكه لهم الأعداء، وهكذا من ضروب السلوك العلمي. وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن كيفية تكوين الاتجاهات؟ Attitude formation

كيف تتكون الإتجاهات ؟ :

تتكون إتجاهاتنا منذ وقت مبكر من حياتنا، ولكننا نستمر في تكوين اتجاهات جديدة طوال رحلة الحياة، ونستمر في تعديل مالدينا من اتجاهات وتطويرها وتتكون هذه الإتجاهات بعدة طرق منها :

أ ــ الاتصال المباشر أو الاحتكاك أو التفاعل المباشر مع موضوع الاتجاه كما يحدث عندما نكون إتجاهاً مضاداً لحركة تلوث البيئة Pollution عندما يلوث المصنع أو المعمل المجاور لك ذلك النهر الجميل الذي كنت تسعد برؤيته. ونكون اتجاهاً مؤيداً للوحدة العربية عندما نجني إحدى ثمارها الطيبة كالقوة العسكرية أو النمو الاقتصادي مثلاً. ويحب الطفل الدين الإسلامي كلما شاهد والديه يصليان، وعامة المسلمين يحسنون إلى بعضهم البعض، وكلما عطفوا عليه هو شخصياً .

ب ــ عن طريق التفاعل مع الآخرين Interaction with others فإذا عاشرت إناساً يحبون الوحدة العربية ويؤمنون بجدواها فأغلب الظن أنك تصبح من مؤيدي فكرة الوحدة بين أقطار الأمة العربية. ومن هنا كانت أهمية توفر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به، وكذلك كانت أهمية توفير أقران الخير لا أقران السوء أمام شبابنا وأطفالنا، وذلك لمساعدتهم في تكوين الإتجاهات العقلية الصالحة.

جـ ــ تتكون الإتجاهات العقلية عبر العمليات المطولة المتضمنة في تربية الطفل Child rearing وفي تلك العملية الهامة التي يطلق عليها عملية التنشئة الاجتماعية للفرد. ففي الغالب ما يعتنق الأطفال نفس الإتجاهات التي يعتنقها الآباء . فإذا كان الآباء والأمهات من الذين يحبون الدين، فإن أطفالهم في أغلب الأحوال يشبون يحبونه مثلهم. ومما يؤيد ذلك ما وجده العلماء في أمريكا من أن معظم الأطفال يتعلمون الاتجاه المضاد للزنوج هناك من خلال تجاربهم مع الآباء والأمهات. ومن هنا أيضاً كانت أهمية خبرات الطفولة وأهمية دور الأسرة في تكوين عقول النشء . الأمر الذي يدعونا لضرورة الاهتمام بالأسرة المسلمة وتدعيمها وتأييدها وتعضيدها مادياً وفكرياً وأدبياً وحل مايجابهها من مشكلات حتى تتمكن من القيام برسالتها الإنسانية العظيمة في تكوين الأجيال المسلمة الصاعدة .

د ـ كذلك تتكون الإتجاهات من خلال عضوية بعض الجماعات Group membership فالجمعيات الخيرية أو جمعيات البر والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحفيظ القرآن، وجمعيات الصداقة بين المجتمعات، كلها تؤثر في سلوك أعضائها وفي اتجاهاتهم. ولذلك فليس عبثاً إنشاء مثل هذه الجمعيات ذات الأهداف النافعة(٦) والخيرة. أما الجمعيات ذات الأهداف الهدامة كالماسونية أو البهائية وما إليهما فيتعبن حظرها لمنع خطرها على اتجاهات الشباب فالانضمام للجماعات المختلفة يجعل الأعضاء يمتثلون To Conform لمعاييرها ونظمها ومبادئها .

تأثير الجماعة على الفرد :

وتمارس الجماعة ضغطاً شديداً على أعضائها حتى يعتنقوا نفس اتجاهاتها. ومما يؤيد ذلك، تجريبياً، أن عدة جماعات تكونت بالفعل لدراسة حالة طفل جانح. وخلص أعضاء الجماعات إلى أن الذي حرم منه هذا الحدث بالفعل هو الحب والعطف والصداقة، ومن ثم يمكن علاجه في توفير هذا الاشباع له. ثم أضيف إلى كل جماعة شخص آخر يؤمن إيماناً شديداً بضرورة إيقاع العقاب الصارم ضد هذا الحدث الصغير. ودارت المناقشات، في حضور هذا الشخص الشاذ، فماذا كانت النتيجة ؟

وفي بداية الحوار وجه الأعضاء كل تعليقاتهم نحوه، ولكنه تشبث برأيه وتمسك به، ولذلك تم استبعاده من الحوار، وبعد ذلك أصبح منبوذاً طريداً من قبل الجماعة. وهكذا اتضح، من خلال هذه التجربة الصعوبات التي يواجهها من يحمل اتجاهاً شاذاً من أجل الاحتفاظ باتجاهه هذا. فالجماعة الصالحة تؤثر تأثيراً صالحاً في أفرادها.

هـ ـ تتأثر الاتجاهات كثيراً بوسائل الاتصال الجماهيرية أو أدوات التثقيف الجماعية Mass media، وتتضمن الصحف والمجلات والكتب والنشرات والاذاعات والبث التليفزيوني وما إلى ذلك من وسائل التوعية والتوجيه والإرشاد والتثقيف والتعبئة الوطنية كالمهرجانات والمتاحف والمعارض والمؤتمرات فهذه الوسائل قد تجعلنا نشعر بالتهديد والخوف والقلق، كما أنها قد تشجعنا وتحثنا وتعضدنا وتثيرنا وتدفعنا نحو عمل الأشياء المطلوبة وتقنعنا بقيمة أشياء كثيرة وبجدواها. وقد تكون هذه الوسائل مضللة وخادعة إذا كانت تابعة للأعداء. فنحن نسمع ما يقال عن الصحف المأجورة أو العميلة.

ولبيان مدى تأثير أداة كالتليفزيون في مجتمع كالمجتمع الأمريكي، فلقد وجد في أحصاء أخير أن هناك ٩٨ ٪ من مجموع السكان يمتلكون جهازاً يعمل في المتوسط لمدة سبع ساعات يومياً. ويعطى معلومات تؤثر في كيفية إدراك الناس، أو في كيف يرون أو يسمعون الأشياء، وكيف يفكرون، وكيف يستجيبون لموضوعات العالم⁽٨⁾ وأحداثه الجارية. فالعروض التي تتضمن القوة والعنف لها تأثير بالقطع في المشاهدين وخاصة الأطفال والشباب. ومن هنا كانت ضرورة الدعوة لاخضاع المواد التليفزيونية عندنا لاشراف رجال الدين وعلماء التربية والنفس والاجتماع والأخلاق لاستبعاد العروض ذات الآثار الضارة والابقاء على العروض الهادفة والمفيدة ذات الطابع الإسلامي الرفيع والأصيل⁽٩⁾.

و ـ قد تؤدي الصدفة لتكوين اتجاه مؤيد أو معارض، فالناس بالصدفة البحتة قد يتعرضون لخبرات مواتية وجيدة مع موضوع ما، وقد يحدث العكس تماماً. فلقد يزور الإنسان محلاً للطعام ويحدث أن تقدم له خدمات جيدة، فيكون إتجاهاً إيجابياً نحو هذا المحل. وبالنسبة للأمريكي الأبيض الذي يحمل إتجاهاً سلبياً نحو الزنوج، قد يتعدل إتجاهه فجأة إذا ما أشرف على الغرق وهو يستحم ولم يتقدم لنجدته أو إنقاذه إلا شخص زنجي. فالأحداث الفردية ذات الشحنة الانفعالية القوية وعوامل الصدفة تلعب دوراً في تكوين الاتجاهات وتعديلها. فقد يحب الإنسان زعيماً أو قائداً لمجرد أن الظروف سمحت له أن يصافحه أو يستقبله ولو مرة واحدة. إن مراعاة مشاعر الناس تجعلهم يميلون إلى من يحترم هذه المشاعر، ويقدر إنسانيتهم، ولذلك كان يحرص كثير من أمراء الإسلام وقادته على استقبال عامة الناس في قصورهم وكانوا يتفقدون أحوال الرعية في الأسواق والمتاجر وغيرها.

ورغم ماللاتجاه العقلي الذي يدين به الفرد من تأثير على سلوكه إلا أن هناك بعض الحالات التي لا يتمشى فيها السلوك الفعلي مع الاتجاه العقلي الذي يؤمن به الفرد من ذلك مايلاحظ من أن كثيراً من الأشخاص يعتقدون في أضرار التدخين ومع ذلك يمارسونه، ويعتقدون بأضرار تلوث الهواء من عادم السيارات ومع ذلك يستمرون في قيادة السيارات. وقد يرجع ذلك إلى خضوع الإنسان لسيطرة العادة التي تكونت عنده من قديم الزمان ولا يستطيع التخلص منها⁽١٠⁾. وقد يرجع ذلك إلى أننا لا نحس بالآثار الضارة مباشرة وفي الحال لكل من التدخين والتلوث أو الافراط في تناول الطعام الدسم.

على كل حال لابد من اتخاذ اجراءات عملية حاسمة ودقيقة لكي يتمشى الاتجاه الإيجابي الذي يحمله الفرد مع سلوكه، ولا ينبغي أن يظل الاتجاه، في حيز المعرفة النظرية فقط. ومن هنا كانت حكمة إسلامنا الحنيف في تحديد الإيمان بأنه ما وقر في القلب وما ظهر من سلوك تأتيه الجوارح. فلا بد من إقتران العلم بالعمل والقول بالفعل. ويتطلب ذلك تظافر الجهود، وتوفر القدوة، وحسن التربية والتوجيه وغير ذلك من الوسائل التي تخلص الفرد من عاداته السلبية وتحرره منها وتغرس فيه غيرها من العادات الإيجابية.

كيف يمكن تعديل الإتجاهات ؟ :

في ضوء الدراسات النفسية الحديثة، يمكن تعديل إتجاهات الفرد، على الرغم من أن الإتجاهات لها صفة الثبات النسبي أو الديمومة النسبية إلا أن تعديلها أمر ممكن. ومن أهم القوى المؤثرة في تعديل اتجاهات الفرد ما يعرف باسم «جماعته المرجعية» Reference group وهي تلك الجماعة التي يعتبرها الفرد ممثلة لقيمه ومثله ومعايره وعاداته وتقاليده واتجاهاته، وتعتبر هذه القيم وتلك المعايير ملائمة له. وتؤثر هذه الجماعات في اتجاهات الفرد بحيث يعتنق نفس الإتجاهات التي تؤمن بها هذه الجماعة.

وإلى جانب تأثير الجماعات البشرية المختلفة على الفرد، وعلى وجه الخصوص جماعته المرجعية كالأسرة وجماعة المدرسة أو النادي أو الجامعة أو زملاء العمل، فإن وسائل الاعلام تلعب دوراً هاماً في تغيير اتجاهات الناس. ومما يؤكد ذلك أن المجتمع الأمريكي وحده أنفق مبلغ خمسة بلايين من الدولارات في عام ١٩٧٨ وحدة على الاعلانات التليفزيونية التي استهدفت تغيير اتجاهات الناس نحو أشياء وموضوعات مختلفة. ويمكن تعديل الاتجاهات عن طريق تطبيق مايعرف باسم «تقنيات الاقناع» Techniques of persuasion تلك التقنيات التي تعتمد على شخصية من يقوم بالاقناع. فالأشخاص الذين يتمتعون بحب الجماعة أو تقديرهم، واحترامهم، وتشعر الجماعة بالثقة نحوهم، وتعتقد في أمانتهم وصدقهم، والذين يتمتعون بحسن المظهر والهندام يكون لمثل هؤلاء قدرة أكبر على التأثير في إتجاهات الناس وإقناعهم. ومن هنا كان استخدام مشاهير رجال الدين والعلم والحكم في إقناع الناس، كذلك يتوقف الاقناع على طريقة العرض التي يستخدمها من يقوم بالاقناع. ويمكن إيجاز العوامل التي تؤدي لنجاح الإقناع فيما يلي :

أ ــ تمتع القائد أو الرائد الذي يقوم بالإقناع بالحب والثقة، والخبرة في الموضوع.

ب ـ يجب أن يشبه القائد الاتباع في بعض الصفات، فلا يكون غريباً عنهم كلية.

جـ ــ يجب أن يثير موضوع الإقناع انفعالات الناس كالخوف أو القلق أو الحماس والتفاؤل.

د ــ يجب أن يتضمن الموضوع نوعاً من العمل الذي يؤدي إلى خفض مشاعر الخوف هذه.

هـ ــ يجب تكرار الموضوع أو اعطائه أكبر قدر ممكن من التكرار مع تنوع أساليب العرض.

فلقد أجريت تجربة أدت إلى إثارة الخوف والهلع في نفوس جماعة من المشاهدين، وكانوا من مدمني التدخين حيث شاهدوا سيدة على خشبة المسرح يفحصها الطبيب ويكتشف أنها مصابة بسرطان الرئة، وأن حالتها جد خطيرة وتحتاج فوراً لاجراء جراحة كبيرة. وأخذت المريضة في التساؤل عن أخطار العملية وظروفها. وبعد المشاهدة أقلعت نسبة كبيرة من المشاهدين عن التدخين.

من الوسائل التي يمكن استخدامها في تعديل الإتجاهات وضع أفكار تتعارض وتتصادم مع الأفكار القديمة التي نريد تغييرها، ووجود مثل هذه الأفكار المتعارضة يجعل الفرد، تلقائياً، يبحث عن وسيلة تخلصه من الشعور بعدم الراحة الناتج من تناقض أفكاره مع بعضها البعض، فيحذف الفكرة الغير مرغوب فيها.

كذلك من وسائل تعديل الإتجاهات، بالقوة، عملية غسيل المخ، وعملية الاعتراف. ولقد تم استخدام وسائل غسيل المخ مع كبار المجرمين ومع أسرى الحرب لانتزاع اعترافات مزيفة منهم أو لتحويلهم إلى المعسكر المعادي. حيث تتمكن جهة الأسر من عزل الضحية تماماً بعيداً عن المؤثرات المؤيدة لعقائدها القديمة، ومن ثم تسقط عليها مؤثراتها من جانب واحد. ولذلك من الخطورة بمكان تأثير الجماعات التي تتمكن من عزل أعضائها عن بقية المجتمع وغرس ماتشاء في عقولهم(٢).

هذه بعض مناهج الغرب في تعديل اتجاهات الناس وتكوينها، ولاتخلو هذه المناهج من استخدام القوة والتعذيب والحرمان من النوم والراحة كما هو الحال في حالة غسيل مخ الأسرى. ولاتخلو من التضليل والخداع وتعمية الناس عن الحقيقة. وتخضع هذه الأساليب

للمصالح النفعية لمن يستهدف تعديل الإتجاهات. أما الأسلوب الإسلامي في صياغة اتجاهات الناس وتعديلها فيختلف اختلافاً كبيراً، حيث يعتمد على الالتزام بالقيم الخلقية في هذه العملية وعلى الإقناع العقلي وسرد الأدلة والشواهد والبراهين واستخدام القياس العقلي لاستنباط الأحكام العامة والاستعانة بالأمثلة الحسية لبيان صحة القضايا المعنوية ... إلخ .

الأسلوب الإسلامي في تعديل الإتجاهات ؟ :

يتميز هذا الأسلوب بالالتزام الخلقي، والإعتماد على الحقائق الواقعية البعيدة عن الأوهام والأباطيل، وعلاوة على ذلك، فلقد استعمل إسلامنا الحنيف الأساليب الجيدة لاقناع الناس قبل أن يهتدي إليها الغرب وينسبها خطأً إلى علمائه .

ومن سمات هذا الأسلوب الإسلامي الأساسية الإعتماد على الموعظة الحسنة في إقناع الناس، وتكوين اتجاهاتهم العقلية، والإعتماد على الحكمة والروية واللطف واللين، وليس العنف أو القوة أو الغلظة أو الإكراه، فلا إكراه في الدين مصداقاً لقوله تعالى: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»(١٣) النحل ١٢٥ .

ويقوم الإقناع والجدال من أجل الوصول إلى الحقيقة بالدفع بالتي هي أحسن «أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» فصلت/٣٤. فالإتجاه الذي يتسم بالمودة والصداقة الحميمة والموالاة يتكون من جراء هذا النهج الإسلامي الرفيع القائم على أساس الدفع بالتي هي أحسن. وإذا كان الجدال أحد سبل الإقناع وتعديل الإتجاهات، فإنه يتصف، في الإسلام بالحسنى أيضاً «وجادلهم بالتي هي أحسن» النحل/١٢٥. فالمجادلة هي قرع الحجة بالحجة وهي منهج عقلاني يقره الإسلام الحنيف.

ويدعو الإسلام أبناءه، تأسياً برسولنا الكريم، للتحلي برقة القلب والعطف والرحمة والمودة والحلم والتواضع «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» آل عمران/١٥٩. وفي هذا المعنى البليغ سبق الإسلام في إدراك ما يقرره علماء النفس من ضرورة تمتع الداعية بحب الجماعة وتقديرهم وإعجابهم. ويؤكد الإسلام أن رسولنا الكريم وقدوة المسلمين جميعاً إنما هو بشر مثلنا، وفي ذلك إدراك للفكرة الحديثة التي تحتم أن يشبه الداعية الأتباع في بعض

الصفات والخصائص حتى يلتفوا حوله ويتوحدون وإياه ويتجاوبون معه «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليَّ أنما الهكم اله واحد» الكهف/١١٠.

وتمتاز الدعوة الإسلامية في أن ماتدعوا إليه الناس ليس من وضع البشر وإنما هو من صنع الله تعالى وهو الأقدر على فهم طبيعتهم البشرية والأعرف بمصالحهم وخيرهم. ولذلك تكون التعاليم الإسلامية محل ثقة الناس، لأنها صادرة عن الله تعالى الصادق الصدوق.

ويعتمد الأسلوب الإسلامي في الدعوة على توفر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يحتذى وهو رسولنا الكريم الذي وصفه الله تعالى بالخلق العظيم «وإنك لعلى خلق عظيم» القلم/٦٨. والقدوة الحسنة هي التي يلتف الناس حولها ويصدقون ماجاءت به «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» الأحزاب/٢١. وفي الإسلام يمثل دائماً الرسول الكريم وصحابته البررة والأئمة الصالحين قدوة أمام الشباب المسلم في كل العصور[١٤]. ويرتبط القول بالعمل الصالح «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» البقرة/٤٤.

ويدعو الإسلام الناس لاستخدام عقولهم وأبصارهم لأخذ العظات والعبر والاستدلال بأنفسهم على عظمة الخالق من آيات خلقه «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى لألباب» آل عمران/١٩. فالاستشهاد بالظواهر الكونية وبكافة مخلوقات الله تعالى سبيل من سبل الإقناع العقلي في الإسلام. والإسلام يشجع أصحابه على طلب العلم، والتفقه في الدين، ولذلك ينزل العلم والعلماء منزلة خاصة «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» الزمر/٩. وطلب العلم، في التصور الإسلامي، فريضة على كل مسلم، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله، ولذلك حثنا الإسلام على طلبه من المهد إلى اللحد، والسعي إليه ولوكان في أقصى بلاد العالم. ولذلك كان أعظم طلب يطلبه الله تعالى من رسوله الكريم هو طلب العلم والقراءة والكتابة «إقرأ باسم ربك الذي خلق» العلق/١.

والإسلام يدعونا للتأمل والتدبر والتعقل والتفكير والادراك والتبصر في مخلوقات الله تعالى حتى نكون الإتجاهات الصحيحة نحوها ونحو خالقها العظيم جل شأنه.

وتقوم الدعوة في الإسلام على طلب الخير والتعاون وتحقيق النفع للناس، وليس على أساس التعصب ضد الناس أو التحيز أو الانتقام «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان» المائدة/٢(١٥). ولذلك فتعديل إتجاهات الناس لتسير في إتجاه الخير والبر والإحسان والتعاون والتضامن والتكافل والإصلاح والبعد عن الاثم والشر والعدوان. فالإسلام دائماً في كافة أساليبه، يتوخى الحرص الدقيق على المثل العليا في الأخلاق والسلوك. وذلك اهتداء بقوله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» البقرة/١١٠. فأساس أسلوب تعديل الإتجاهات العقلية أساس خلقي يتمثل في الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر.

وأساس تجميع عقول الناس وأفكارهم المحبة والألفة، وليس العداء أو الخصام «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم» آل عمران/١٠٣. وتقوم الدعوة كذلك على أساس من العفو والتسامح والرضا والانفاق في سبيل الله تعالى «الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» آل عمران/١٣٤.

ويستنكر الإسلام السمات الذميمة كالكذب والغش والخداع والضلال والبغي والظلم والعدوان والأثم والكبر والتعالى والغرور وما إلى ذلك «ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون» البقرة/١٠ .

ولقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في إدراك فائدة انتهاج منهج الترغيب والترهيب في تعديل إتجاهات الناس وتخليصهم من عادات الوثنية والشرك والكفر والصراع والتطاحن والقتال ووأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر، ودعاهم إلى الإجماع، ودعا إلى عقاب من يشق عصا الطاعة ويخرج عن دين الله «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا» المائدة/٣٣ . وهي فكرة إثارة الخوف والقلق في نفوس الناس التي يدعى علماء النفس ابتكارها لإلزام الناس بتغيير إتجاهاتهم. والإسلام يدعوهم إلى الطاعة «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار» النساء/١٣ . فالجنة جزاء حسن، لمن يطع الله ورسوله، ولمن يعمل عملاً صالحاً، بينما جهنم وعذاب النار مصير العصاه المحتوم. ويحذر الإسلام من انتشار التنازع والإختلاف الفكري أو الطائفي «وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا» الأنفال/٤٦ . والإسلام يدعو الناس لطريق الهدي «فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون» البقرة/٣٨ .

ويتخذ الإسلام من الشورى أساساً لإقناع الناس ولاتخاذ القرارات ولإدارة المجتمع «فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر» آل عمران/ ١٥٩ . ومع الإعتماد على العقل والدعوة للتعقل والتأمل والتدبر والتفكير في مخلوقات الله ، ولكن للعقل حدوداً لا يستطيع أن يتعداها . ومع إباحة الجدال بالحسنى إلا أنه ليس مطلقاً فلا جدال في الحج كي لا ينال ذلك من وحدة المسلمين الغفيرة «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» البقرة/١٩٧ . وتتسم الحياة الإسلامية باليسر وليس بالعسر مما يحبب الناس فيها «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» البقرة/١٨٥ .

وهكذا يتضح ، للقارىء الكريم ، مبلغ إدراك إسلامنا الأغر للأساليب الجيدة في تعديل اتجاهات الناس ، وكيف اتسم أسلوبه بالطابع الخلقي وتوخي الأمانة والصدق والإعتماد على النقاش الحر ودعوة العقل للتأمل والتدبر ، والقياس والاستدلال والاستشهاد بالأمور المعروفة على الأمور الخفية أو بالأمور الحسية على الأمور المعنوية ودعوة الناس باللطف واللين والحسنى والتعاطف معهم وتوفير المثل الأعلى أمامهم دائماً .

● ● ●

هوامش البحث

(١) عبد الرحمن العيسوى، دكتور، دراسات في علم النفس الإجتماعي، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية .

(٢) أحمد عزت راجح، دكتور، أصول علم النفس، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية.

(٣) يحي بن شرف الدين النووي، الإمام، مختصر كتاب رياض الصالحين ، دار القلم، بيروت، ٩٨٣ .

(٤) Coon, D., Essentials of psychology, West publishing Co-New York 1982.

(٥) مرجعه السابق Coon, D.

(٦) المرجع السابق .

(٧) عبدالرحمن العيسوى، دكتور، مرجعه السابق .

(٨) مرجعه السابق Coon, D.

(٩) عبد الرحمن العيسوى، دكتور، الأثار النفسية والإجتماعية للتليفزيون العربي، دار النهضة العربية ببيروت، لبنان .

(١٠) مرجعه السابق Coon, D.

(١١) المرجع السابق .

(١٢) عبد الرحمن العيسوى، دكتور، اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت.

(١٣) القرآن الكريم .

(١٤) بريكان بركي القرشي، القدوة ودورها في تربية النشء، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة/١٤٠٥هـ .

(١٥) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤٠١هـ .